العرب
الإثنين 2021/09/27
السنة 44 العدد 12192

الصين تواجه خسارة سباق التسلّح مع الولايات المتحدة

بكين - قبل نحو ثلاثة عقود، تردد أن زعماء الصين أصدروا تكليفات بإعداد دراسات معمّقة عن أسباب انهيار الاتحاد السوفييتي، الذي كان دخوله في سباق تسلح مع الولايات المتحدة أحد أكبر الأخطاء التي ارتكبها لينتهي به المطاف إلى الإفلاس الاقتصادي.

لكنّ الكثير من المحللين يقولون إن الصين تكرر الآن الأخطاء نفسها التي ستقودها إلى مصير مشابه للاتحاد السوفييتي في سباق التسلّح الذي تخوضه في مواجهة الولايات المتحدة.

ويقول الخبير السياسي الأميركي من أصل صيني مينكسين بي، في تحليل نشرته وكالة بلومبرغ، إنه في الوقت الذي تركز فيه الولايات المتحدة قدراتها العسكرية على شرق آسيا، تواجه الصين معضلة استراتيجية تماثل تلك التي واجهها السوفييت.

وسوف تتطلب محاولة الصين مجاراة القوة العسكرية الأميركية، زيادة نفقات الدفاع لديها على نحو جذري، وهو نفس الفخ الذي سقط فيه السوفييت. ورغم ذلك، من الممكن أن يؤدي إخفاق الصين في مواجهة التعزيزات العسكرية الأميركية، إلى أن تصبح أكثر تعرضا لانعدام الأمن وللخطر.

مينكسين بي

على الصين التركيز على الدبلوماسية لتعزيز أمنها عوض التسلّح

ويرى بي الخبير في شؤون الحوكمة بالصين، وفي العلاقات بين الولايات المتحدة وآسيا، والديمقراطية في الدول النامية، أن قرار واشنطن بيع غواصات هجومية تعمل بالطاقة النووية لأستراليا، سلط ضوءا صارخا على مأزق الصين. وباتخاذ هذه الخطوة الاستراتيجية المثيرة، تعلن الولايات المتحدة تحدي الصين في سباق تسلح جديد، ذي تكلفة فلكية. ويصل سعر الغواصة الأميركية الواحدة طراز "فيرجينيا" إلى 3.45 مليار دولار.

وتجد الصين نفسها الآن في موقف استراتيجي لا تحسد عليه، وعليها مجابهة القدرات العسكرية المشتركة للولايات المتحدة وحلفائها في المحيط الهادئ في نفس الوقت.

ويرى بي أستاذ علم الحوكمة بكلية كليرمونت ماكينا في كاليفورنيا إنه إذا أرادت الصين أن تصل فقط إلى شبه تكافؤ مع الجيش الأميركي، فإن الأمر صعب، ولكنه ليس مستحيلا تماما، فالاقتصاد السوفييتي في ذروته، لم يصل إلى نصف قيمة الاقتصاد الأميركي.

ويصل إجمالي الناتج المحلي للصين حاليا إلى حوالي 70 في المئة من نظيره الأميركي، محسوبا بالدولار، ومن المنتظر أن يتجاوزه خلال 15 عاما.

وفي المستقبل المنظور، من المتصور أن تتمكن الصين من مضاهاة الإنفاق العسكري الأميركي. لكن المسألة تختلف تماما إذا ما تمت إضافة اقتصادات "تحالف كواد" (الرباعي) -الولايات المتحدة واليابان والهند وأستراليا- إلى المعادلة، حيث يبرز هذا التجمع على نحو سريع كتحالف تم تشكيله خصيصا لاحتواء الصين.

وبحسب بيانات البنك الدولي، بلغ إجمالي الناتج المحلي للدول الأربع حوالي 30 تريليون في عام 2020، أي ضعف إجمالي الناتج المحلي للصين.

وفي ظل حفاظ دول التحالف على إنفاق 3 في المئة من هذا الإجمالي، من شأن ذلك أن يوفر حوالي 900 مليار دولار للجيوش الأربعة. وبذلك، سيتعين على الصين التي وصل إجمالي إنفاقها العسكري إلى 250 مليار دولار في 2020، مضاعفة ميزانيتها العسكرية بواقع أربعة أمثال.

وإذا ما تضمن الأمر الميزة التكنولوجية لواشنطن، وأيضا المخزون الضخم من السلاح بعد عقود من إنفاق عسكري هائل، سوف يكون الأمر غير واقعي تماما بالنسبة للصين أن تعتقد أنها تستطيع أن تفوز بسباق التسلح القادم استنادا إلى قوة اقتصادها وقدراتها التكنولوجية.

وهنا، يقول بي إنه من المناسب اتباع نصيحة الخبير العسكري والفيلسوف الصيني الشهير سون تزو، صاحب كتاب "فن الحرب"، ومفادها "تجنب مواجهة نقاط القوة لدى خصمك".

ويرى بي أن على الصين بدلا من الانجرار إلى سباق تسلح لا يمكنها الفوز به، أن تركز على الدبلوماسية لتعزيز أمنها.

كما أن الهدف الأساسي لنجاح الولايات المتحدة في حشد اليابان والهند وأستراليا في إطار "التحالف الرباعي" هو خوف هذه الدول من القدرات العسكرية المتنامية للصين. ولدى اليابان والهند حافز خاص للتحالف مع الولايات المتحدة، في ظل النزاعات الإقليمية والبحرية لكل منهما مع الصين.

ومن الأفضل للمصالح الصينية أن تقوم بكين بجهد جدي لتسوية النزاعات ونزع فتيل التوترات مع جيرانها. وفي هذا الشأن، سيمثل توقف الصين عن اقتحام المياه الإقليمية لجزر سينكاكو (باليابانية)- دياويو (بالصينية)- المتنازع عليها بين الدولتين، وسحب القوات الصينية من المناطق الحدودية المتنازع عليها مع الهند، بادرة حسن نية.

ويقول بي إنه في ظل حالة انعدام الثقة والعداء التي تتصاعد لمستويات خطيرة، من المهم بنفس القدر للصين أن تبدأ الانخراط مع الولايات المتحدة مجددا. وعلى الرئيس الصيني شين جين بينج أن يتخلى عن رفضه الواضح مقابلة نظيره الأميركي جو بايدن، حيث يمكن فقط للانخراط الدبلوماسي على أعلى مستوى، أن يبطئ من الدائرة المفرغة التي تصعد من عسكرة المنافسة بين الصين والولايات المتحدة.

ويتعين على الصين أن تتحلى بالحكمة وأن تتعلم درسين إضافيين من المسألة السوفييتية: الأول، أن الزعماء السوفييت دأبوا على الاستثمار في سباق تسلح خاسر بسبب شعورهم بالقلق من أن الولايات المتحدة ستضرب أولا.

وبالنظر إلى الماضي، لم يكن لهذه المخاوف أساس على الإطلاق، بل كانت مدمرة من الناحية الاقتصادية. وكذلك الحال اليوم، لا يمكن لأحد أن يتصور أن تبدأ الولايات المتحدة بشن هجوم استباقي على الصين، المسلحة نوويا.

أما الدرس الثاني، فهو أن الاتحاد السوفييتي تمكن من إبعاد الحرب الباردة عن إمكانية أن تتحول إلى حرب حقيقية، عبر العمل مع الولايات المتحدة للتوصل إلى بروتوكولات وقواعد لتجنب الدخول في أي صراع عرضي. ومن الذكاء أن تقوم بكين بتنفيذ البروتوكولات الحالية بينها وبين واشنطن، بالمزيد من القوة، إلى جانب اقتراح بروتوكولات جديدة.

ورغم أن العديد من سياسات الرئيس الصيني اتجهت صوب تحاشي أخطاء نظرائه السوفييت، لكن إذا لم تقدم الصين على تغيير مسارها قريبا، يخاطر الرئيس بتكرار الخطأ الأكبر الذي ارتكبوه.

قوة عسكرية لا تكفي لمنافسة واشنطن

أفغانستان الجديدة فرصة مربحة لطهران

كيف ستستثمر إيران صعود طالبان بعد الفشل المدوي للولايات المتحدة

أفغانستان ورقة تراهن عليها طهران لتوسيع نفوذها وتعافي اقتصادها

قدم انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان فرصة لإيران للاستفادة من سيطرة طالبان من الناحية الجيوسياسية والاقتصادية وتعزيز علاقاتها مع الصين وروسيا من خلال تقديم نفسها على أنها القوة التي لا غنى عنها في الشرق الأوسط.

واشنطن - يتعلق إخفاق واشنطن في أفغانستان بالنسبة إلى إيران بأكثر من مجرد انتصار لطالبان. حيث انطلق الترويج له على أنه تأكيد أن سياسة الولايات المتحدة في العالم الإسلامي محكوم عليها بالفشل.

وحاولت طهران في رسالتها تعزيز فكرة لشركائها وحلفائها بأنها الفاعل الوحيد الموثوق به في الشرق الأوسط، في مواجهة واشنطن التي يُفترض أنها غير موثوقة وتفتقر إلى التصميم الاستراتيجي. ومع ذلك، يمكن أن تطغى التحديات على هذه المكاسب الجيوسياسية والأيديولوجية الفورية المحتملة، والتي قد تفرضها أفغانستان التي تحكمها طالبان على أمن إيران ومصالحها الإقليمية على المدى الطويل.

ويرى المسؤولون الإيرانيون في الانسحاب الأميركي استسلاما لطالبان التي تشهد انتصارا تشعرهم أنه يثبت استثمارهم في "محور المقاومة" وشبكته الإقليمية من مجموعات الميليشيات.

ويرجح الباحثان في معهد الشرق الأوسط بواشنطن علي فتح الله نجاد وحميد رضا عزيزي أن يشجع ذلك استراتيجية إيران الإقليمية "الواقعية الهجومية"، مما قد يؤدي إلى تفاقم التوترات.

مكاسب أيديولوجية ومادية

قدمت كارثة الولايات المتحدة في أفغانستان نوعين من الفوائد لطهران: أحدهما نهائي والآخر محتمل.

ووفقا لرواية إيران، فإن ما حدث في أفغانستان سيؤدي إلى المزيد من الانتكاسات للولايات المتحدة في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

وزعمت إذاعة جمهورية إيران الإسلامية من مكاتبها في لبنان وسوريا، وهما دولتان تعتبرهما طهران من بين "محور المقاومة" الإقليمي، أن المدنيين والمحللين والسياسيين هناك يعتقدون بشكل موحد أن الانسحاب الأميركي من أفغانستان قد أظهر أن واشنطن تجلب انعدام الأمن إلى المنطقة وأن المقاومة هي الرد الفعال الوحيد.

وبالمثل، استخدمت وكالة أنباء فارس التابعة للحرس الثوري الإيراني الحدث لمهاجمة الخصوم السياسيين المحليين، أي الإصلاحيين، الذين تشير إليهم على أنهم "جماعات موالية للغرب"، مشيرة إلى أنه يجب عليهم الاعتراف بأن الولايات المتحدة ليست "لا تُقهر" بالنظر إلى "هروب مذل" من أفغانستان.

ودفعت حقيقة أن الولايات المتحدة لم تنجح في النهاية ضد طالبان المسؤولين الإيرانيين إلى الاعتقاد بأنهم يستطيعون هزيمة الولايات المتحدة في أماكن أخرى من المنطقة باستخدام الميليشيات التي ترعاها.

ويُرجح المحللان أن يكون انتصار طالبان على الولايات المتحدة بمثابة رصيد في يد طهران لتقويض ضغط واشنطن.

ففي إيران نشرت صحيفة "الشرق" اليومية الإصلاحية مقابلة ركزت على الفرص المتاحة أمام الصين وروسيا وإيران في أفغانستان التي تحكمها طالبان.

وشددت جافان، وهي صحيفة يومية قريبة من الحرس الثوري الإيراني، على أن "العلاقة الحالية مع الصين وروسيا ستكون أكثر أهمية من المفاوضات النووية... لقد صُدم الغرب والولايات المتحدة بشكل خاص بالفشل في أفغانستان وهو أفضل فرصة للأطراف الثلاثة (إيران وروسيا والصين) للاستفادة منه".

وقد تخلق سيطرة طالبان فرصا اقتصادية لإيران بالإضافة إلى المكاسب الجيوسياسية المحتملة.

وعانت إيران بشكل كبير من العقوبات الأميركية أحادية الجانب على مدى السنوات الثلاث الماضية، وتبحث الآن عن أي فرصة للتحايل على الضغط الأميركي. وقد توفّر أفغانستان إمكانات لطهران لتصدير سلعها.

وفي ظل هذه الظروف، بدأت إيران في إعادة تسمية طالبان ككيان مُصلح سيختلف حكمه عما شهده العالم في التسعينات.

وتتابع المنافذ التابعة للحرس الثوري الإيراني هذه الحملة في المقام الأول. ويبدو أن الهدف هو تبرير وإضفاء الشرعية على التعاون مع كيان يُعتبر معاديا لإيران منذ ما يقرب من عقدين، خاصة بين الجمهور الإيراني.

وتستغل نفس المنافذ (إلى جانب كبار المسؤولين الإيرانيين) كارثة أفغانستان لأغراض دعائية، تؤكد على مكانة طهران كقوة يمكن الاعتماد عليها في الشرق الأوسط لدولتها والدول غير الحلفاء.

وفي نفس الوقت، يرى المحللان أن إيران، التي تضم بالفعل نحو 2.5 مليون أفغاني، والتي يعني وضعها الاقتصادي المحلي المزري أنها لا تستطيع تحمل موجة جديدة من اللاجئين الأفغان، قد تستخدم الهجرة الأفغانية لابتزاز أوروبا، حيث يطمح معظم هؤلاء اللاجئين في الوصول إليها، وكفرصة أيضا لمحاولة تليين موقف أوروبا في المحادثات النووية.

المخاطر المحتملة

يقول فتح الله نجاد ورضا عزيزي إنه على الرغم من الفرص الحقيقية والمحتملة التي تراها إيران في أفغانستان، فإن توطيد حكم طالبان قد ينطوي على تحديات خطيرة لطهران أيضا. حيث سيكون لنهج طالبان تجاه الشيعة المحليين تأثير كبير على العلاقات بين طهران وكابول.

ولا تزال إيران تحتفظ إلى حد كبير بأسطورة طالبان التي تم إصلاحها

> **فشل واشنطن ضد طالبان دفع المسؤولين الإيرانيين إلى الاعتقاد بأنهم يستطيعون هزيمتها في أماكن أخرى باستخدام الميليشيات**

والتي ستحترم حقوق الأقليات العرقية والدينية. وقد حاولت في الأسابيع الأخيرة طمأنة طهران بشأن هذه القضية، بما في ذلك السماح للشيعة بإقامة طقوس عاشوراء في أفغانستان.

ومع ذلك، فمن غير الواضح ما إذا كانت طالبان ستواصل ذلك بعد ترسيخ حكمها. وحتى لو كان قادة طالبان على استعداد لاتباع سياسة أكثر براغماتية في هذا الصدد، فليس هناك ما يضمن طاعة العناصر الأكثر راديكالية في الجماعة، أو حتى الأفراد العاديين. وقد يؤدي هذا إلى توترات ثنائية أو حتى صراع في حالة مقتل الشيعة الأفغان. ومن شأن مثل هذا السيناريو أن يضع إيران بين المطرقة والسندان: إذا قررت التدخل عسكريا في أفغانستان، فقد تكون عالقة في نفس المستنقع الذي اجتاح الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قبلها. ومع ذلك، ستتقوض مصداقية إيران كحامية للطائفة الشيعية إذا لم تتحرّك بينما تقمع طالبان الشيعة الأفغان.

وقد تشعر إيران أنها خسرت بالفعل معركة النفوذ في أفغانستان لصالح باكستان. كما قد يهدد النفوذ الباكستاني المفرط مصالح إيران في بعض المجالات المهمة، بما في ذلك ميناء تشابهار، الذي كان من المفترض أن يربط الهند بآسيا الوسطى عبر أفغانستان وكان يُنظر إليه على أنه منافس لميناء جوادر الباكستاني.

وأصبحت قطر أيضا جهة فاعلة أخرى في الملف الأفغاني ويعتبر دورها لا غنى عنه. وعلى الرغم من أن الدوحة كانت تتمتع بعلاقات إيجابية بشكل عام مع طهران في السنوات الأخيرة، إلا أن البلدين لا يجتمعان في مجموعة من القضايا الإقليمية المهمة، بما في ذلك الأزمة السورية.

وعلى هذا النحو، يمكن لنفوذ قطر المتنامي في أفغانستان أن يمنحها قدرة على التمتع بتنازلات من إيران في شؤون العالم العربي.

ويمكن لتركيا، حليفة قطر الوثيقة، أن تستغل الوضع لصالحها. وقد يضع استعداد تركيا للعب دور أكثر نشاطا في أفغانستان والتعاون الاقتصادي مع النظام الجديد، إيران في موقف صعب.

وستواجه إيران مرة أخرى تهديدا خطيرا على حدودها الشرقية إذا فشلت طالبان في إرساء الاستقرار والأمن في أفغانستان وردع الجماعات المتطرفة والإرهابية مثل داعش والقاعدة. وفي الواقع، يمكن للفرع الأفغاني لتنظيم الدولة الإسلامية، داعش - خراسان، الاستفادة من حالة عدم الاستقرار المستمرة، ومن المحتمل أن يصبح تهديدا خطيرا للمنطقة.